

في نور محمد فاطمة الزهراء

ترهّف وشفّ كأنّها شعاع. وبصرت بنفسها وبأختيها: زينب وأمّ كلثوم، قد التفّفنّ بالمصجع حلقةً، كأنّما ليكنّ وفاءً وفداءً لهذه الراقدة العزيزة فيدراًنّ عنها سطوة المنون[600]، ورأت أباهما يلزم جوار وجهه الفُضلى لزوم وله[601] ومودّة، فيهمهم[602] بين اللحظة واللحظة بكلام لم تكن تدري إبّانها - لانشغالها بكربها العظيم - أهو مسارّة ومناجاة أم هو هينمة[603] ودعاء إلى ربّ الموت والحياة. ثلاث ليالٍ وثلاثة أيام مضت ومحمد حينئذ لا يبرح الدار، ثم لا يميل عن ذلك الجوار. فإن تكن الزهراء التقطت خلال تلك الآونة، مرأىً أو صوتاً، من لدن الأمّ، فإنّ القلق الذي يترقرق في عينيها كالدموع، أن أرف[604] أو ان رحيلها عن زوجها الحبيب، وهو أشدّ ما يكون حاجة إلى وقوفها معه، تسند ظهره، وتثبت خطاه في وجه أبالسة الشرك، حسب الجحيم. وإنّ الهفة التي تغشى محيّاها وهي تنقلّ بصرها على وجوه فتياتها الثلاث مراراً مراراً، كأنّما تنفحّ صهنّ، وتبحث بينهنّ عن تلك الرابعة، الغائبة عنها من بضع سنين وراء البحر بأرض الحبشة، فيرتدّ إليها بصرها وهو حسير... وإنّ اضطراب شفتيها ممّا هو أدنى إلى الأنين، إذ ترتعشان بكلام ما هو بمسموع، ولا له في العالمين سميع، تعبيراً صامتاً عن لواعج[605] بينها عن الأحبّة، وانقطاع لقائها بهم إلاّ في علّيين. أو تكن الزهراء التقطت من لدن أبيها، مرأىً أو صوتاً، فإنّ الدموع على وجنتيه